

«ولاد العم».. دراما مغربية تخوض في الفوارق الطبقيّة داخل العائلة الواحدة

وكتبت اليوسفي أيضا سيناريو مسلسل «ماشى ساهل» على قناة «الجزائرية الثالثة» وتستعد لعمل مغربي من إنتاج تونسي - جزائري من المزمع عرضه في رمضان 2022، وهي التي تميزت في وقت سابق في نسج خيوط أول مسلسل مشترك بين مصر والمغرب من إنتاج قناة «دوزيم» المغربية وهو مسلسل «كابرو بلانكا»، الأمر الذي أهله للفوز بالعديد من الجوائز العربية في مجال السيناريو على غرار فضية مهرجان قرطاج السينمائي عن فيلم «نون النسوة» في العام 2016 والجائزة الكبرى للمهرجان العربي للإذاعة والتلفزيون عن مسلسل «رضاء الوالدة».

و«رضاء الوالدة» من إخراج زكية طاهري ومن بطولة كل من عبد الإله رشيد وأسامة البساطوي والسعدية أزكون وغريم. وهو دراما اجتماعية تسرد قصة شاب مغربي يعاني من البطالة على الرغم من حصوله على شهادة جامعية، مما يدفعه للجوء إلى طرق ملتوية بعد أن كان قد جرب قبلها مجموعة من الوظائف الحرة وغير الحرة دون جدوى، الأمر الذي يكون سببا في توتر علاقته بأمه.



**المسلسل يعالج وفق رؤى
فلسفية الإكراهات التي تجبر
بعض الأشخاص على التخلي
عن مبادئهم في سبيل المال**

وحفل مسلسل «ولاد العم» في سابقة هي الأولى من نوعها في تاريخ الدراما المغربية بتقديم الفنانة اللبنانية بارا أغنية المسلسل الرئيسية بصوتها، والتي حملت عنوان «أه عالمكوتوب» من كلمات محمد المغربي والحنان مهدي مزين وإشراف عام لعصام حبش الذي حرص على التواصل معها في هذا الخصوص، لتكون أول فنانة عربية تقدم شارة مسلسل مغربي.

وهذه ليست المرة الأولى التي يشرف فيها حبش على مثل هذا تعاون، فقد سبق أن تعامل مع أشهر نجوم العرب من بينهم المغني العالمي الشاب خالد، والفنانة اليمنية - الإماراتية بلقيس فتيحي، ولعب الدور الأساسي في نجاح أغنياتها المغربية «تعال تشوف»، بالإضافة إلى تعامله مع النجم العراقي ماجد المهندس وثلة كبيرة من مشاهير الوطن العربي.

كما سبق لبارا أن غنت شارات العديد من المسلسلات العربية منها «دنيا مشفهاش» و«نصبي وقسمتك». وكان من المنتظر أن تبث قناة «أم. بي. سي» 5 مسلسل «ولاد العم» في شهر رمضان الماضي، غير أنها تراجعته عن ذلك إلى ما بعد الموسم لأجل منحه فرصة متابعة أكبر بعيدا عن الكم الهائل من الأعمال الدرامية المعروضة في شهر رمضان، وهو ما تحقق لها فعليا مع بداية عرض العمل في أواسط شهر مايو الماضي.



شيقان فرقت بينهما مطلع الحياة

الرباط - في قالب درامي اجتماعي يصور المسلسل التلفزيوني المغربي «ولاد العم» للمخرج إبراهيم الشكري أحداثا تراجيدية حول فلسفة الاختيار بين الضغوط الاجتماعية والمغريات الحياتية التي تجبر الأشخاص على التخلي عن مبادئهم.

وتدور أحداث المسلسل الذي يعرض حاليا على قناة «أم. بي. سي» 5 في ثلاثين حلقة حول الأخوين صالح وطاهر اللذين يتقاسمان المبادئ نفسها لكنهما يجدان نفسيهما أمام مفترق طرق عندما يضع القدر بين أيديهما صندوقين، أحدهما مليء بالمال والأخر بالمخدرات، وهما وسط قارب صيد في أعماق البحر، فيختلفان حول الكنز.

صالح يريد إعادته إلى الشرطة، بينما طاهر يراه رزقا من الله وفرصة حياة أفضل. يفرق المال بين الأخوين، فيمتشي كل في طريقه؛ ويتعد صالح عن أخيه، بينما يستثمر طاهر المال، وتتغير حياة كل منهما إلى أن يلتقي ابناؤهما ويتغير مصير كل منهما.

وعن العمل قال الممثل سعيد أيت باجا «ولاد العم دراما اجتماعية تتناول قصة عائلتين؛ الأولى غنية والثانية تعيش الكفاف والعفاف، تربطهما قواسم مشتركة لكن لكل واحدة منهما مسارا مختلفا لتكشف مع توالي الحلقات أنّهما تربطهما علاقة أخوية لكن افترقت بهما السبل، وبعد مرور السنوات الكثيرة يلتقيان من خلال ابناؤهما».

وأضاف أن «المسلسل يصور أزقة مدينة الدار البيضاء في كل تجلياتها وتناقضاتها؛ عالم الأسر الفقيرة والمتوسطة في علاقتها بالأسر الميسورة، والفوارق الاجتماعية بينها». وعن الدور الذي يجسده في العمل قال «أجد دور كريمو، الابن البكر لعائلة تعيش في حي شعبي معدم يسعى إلى تحقيق ذاته وإنقاذ والده من الفقر، ونظرا للظروف التي يعيشها لا يفرق بين الحلال والحرام فيقع في مشكلات لا حصر لها».

وأعتبر أيت باجا أن قناة «أم. بي. سي» 5 فتحت المنافسة على مصراعيها مع القنوات العمومية المغربية، موضحا «كنا نطالب دائما بتحرير القطاع السمي البصري لبتأتى لمجموعة من القنوات الإنتاجية في المغرب، وهذا سيضفي قيمة على نوعية الإنتاجات الدرامية كما سيساهم في انتشار المنتج الدرامي المغربي واللهجة المغربية عربيا، وهو ما حققته القناة ولا تزال تحققه منذ انطلاقها في العام 2019».

وتابع «في مقابل ذلك تظل القنوات الوطنية المدرسة الأم التي فتحت أبوابها للمغاربة وتعزف من خلالها الجمهور على الدراما المغربية، كما أنّ الجمهور أصبح مقبلا عليها بكثافة لما تقدمه من أعمال جادة».

ويشارك في بطولة مسلسل «ولاد العم» كل من عزيز داداس، ربيع القاضي، عبد الله ديدان، فاطمة خير، سعيد أيت باجا، نعيمة بوحاملة، ماجدولان الإدريسي وأخريين، وهو من إخراج إبراهيم الشكري ومن تأليف فانتن اليوسفي التي تألفت في العشرة الأخيرة في صياغة العديد من السيناريوهات الدرامية الناجحة على غرار مسلسل «رضاء الوالدة» بجزييه، «مرحبا بصحابي»، «داير البوز»، «حميمو»، «أصحاب الباك»، «راس المحابين»، «مرضى ميمو»، «راجل المرأة»، «البركة في راسك»، «أسرار النساء» وآخرها «ولاد العم» وغيرها من الأعمال الدرامية الناجحة التي ساهمت في تطور الدراما المغربية وإشباعها عربيا.

ما الذي يمنع الموسيقى التصويرية العربية من المنافسة عالميا؟

موسيقى المسلسلات حكايات موازية لا مجرد إضافات تجميلية



حضور شاحب للموسيقى التصويرية في الدراما العربية

ولم تخل حقبة ما بعد الحرب العالمية الثانية من حركة تمرد وتجديد فنية لافتة، وشهدت الموسيقى تطورا واسعا مع ظهور فرقة «البيتلز» وسطوع نجوم جدد مثل الفيس بريسلي وانتشار الفانتازيا، ولم تلبث الموسيقى التصويرية نفسها أن تبلورت لتصبح أكثر تأثيرا بما يشبه السارد الإضافي.

ويمكن القول إن المخرج العالمي ستيفن سبيلبيرغ لعب دورا هاما في توسيع دور الموسيقى التصويرية في الأفلام السينمائية؛ لذا فإن موسيقي عملها الفد «الفك المفترس»، المنتج سنة 1975، بصخبها وما تبعته في النفس من قلق وما تثيره من خوف ما زالت تسيطر على أذهان مشاهدي القطيع إلى درجة أنهم يتذكرون العمل متى التقطت أذانهم موسيقاه التصويرية دون الحاجة إلى تعريفهم بعنوان الفيلم.

وهكذا لم يعد عالمي شهير في مجال الموسيقى هو جون ويليامز الذي فاز بجائزة الأوسكار عن هذا العمل بجدارة، وكان ذلك دافعا له إلى تجديد التجربة بعد ثلاث سنوات في فيلم «سورمان» الذي فاز بجائزة الأوسكار عن هذا العمل بجدارة، وكان ذلك دافعا له إلى تجديد التجربة بعد ثلاث سنوات في فيلم «سورمان» الذي فاز بجائزة الأوسكار عن هذا العمل بجدارة، وكان ذلك دافعا له إلى تجديد التجربة بعد ثلاث سنوات في فيلم «سورمان» الذي فاز بجائزة الأوسكار عن هذا العمل بجدارة.

ولمع في الطريق ذاته نجوم كثر ربما أبرزهم جيمس هورنر (1953 - 2015) الذي فاز بجائزة الأوسكار مرتين، وجائزة غولدن غوب مرتين، وجوائز غرامي اثنتي عشرة مرة، وتطلع في أذهان الناس موسيقي الكثير من المشاهد الرومانسية في فيلم «تاي تانك» سنة 1997.

وحقق الموسيقي الألماني هانز زيمر، المولود في فرانكفورت بألمانيا في 1957، تطورا كبيرا في مقطوعات الأفلام والمسلسلات الدرامية بالاعتماد على البيانو وعلى الكثير من التقنيات التكنولوجية الحديثة التي مكنته من الريادة والسطوع باعتباره صاحب مدرسة حديثة لها رؤاها الخاصة.

وامتد تأثير زيمر، الحاصل على جوائز الأوسكار عن موسيقى فيلم «الرجل الأسد» سنة 1995 و«غولدن غوب عن المصارع» سنة 2001 و«غرامي عن المد القرمزي» سنة 1996 و«فارس الظلام» سنة 2009، إلى أجيال تالية من المبدعين الذين وصلوا الإبداع إلى درجة تأليف مقطوعات الموسيقى لكل مشهد باعتباره مختلفا تماما عن سابقه، ونستمع مثلا في موسيقى «الرجل الأسد» لطبل أفريقي يتناغم مع قصة المغامرة في أدغال أفريقيا.

وصل الأمر بموسيقين معاصرين، مثل الأميركي جيف روسو المولود في تكساس سنة 1969، إلى تحقيق البراعة في التفرقة بين المشاهد الحزينة بدرجات مختلفة، فليس الحزن كله واحد. كذلك في مشاهد الفرح، فرح الرجل يختلف عن فرح المرأة والطفل، وسبب الفرح نفسه يجعل لون الفرح الموسيقي مختلفا.

العربي مع الموسيقى البحثية على قدر تجاوب الجمهور الغربي، لأن هناك ثقافة تحتفي بالموسيقى البحثية في بلدان مثل ألمانيا نظرا لقدم دراستها والتعامل بها واعتبارها جزءا أساسيا من الكون الثقافي للإنسان.

وطبقا لبعض النقاد الفنيين فإن التطور التكنولوجي المتسارع يجعل للحاق بمستوى الموسيقى التصويرية الغربية أمرا بالغ الصعوبة وشديد التكلفة، خاصة أن هناك تقنيات حديثة يتم ابتكارها وتطويرها كل يوم تصب في مصلحة تجويد الموسيقى التصويرية وتحويلها إلى فن شديد الإبهار.

ولا يغامر منتجوا الأعمال السينمائية العربية باستخدام التقنيات الأحدث للوصول إلى مقاطع موسيقية أكثر صخبا وسحرا، لأن نظرتهم إلى الموسيقى التصويرية تصب على حصرها في خانة الثانويات، ويعتقدون أن ثقافة المشاهد نفسه قد لا تتجاوب مع التنوع الإبداعي المتحقق للمقطوعات الموسيقية.

وقد يكون ذلك صحيحا من الناحية النظرية، لكن في ظل عالم مفتوح ومتواصل ومتقارب بفعل ثورة التكنولوجيا تتغير أنواق المجتمعات وثقافتهم عبر الزمن.

أسماء لامعة

على عكس تعامل العرب مع الموسيقى التصويرية لم يكن غربيا عن هوليوود أن يلعب فيها مبدعون كبار استطاعوا ترك بصمات خالدة في مسيرة الموسيقى ففاجأهم بإعداد سبعين مقطوعة مستقلة ومتنوعة.

وأضاف الناقد (رفض ذكر اسمه) أن المؤلف الموسيقى أخبرهم بأن العالم المتطور يعمل بذلك الأسلوب، كما اقترح حذف بعض المشاهد أو مقاطع منها، ما أثار غضب مخرج العمل الذي لم يكن على مستوى مهني رفيع، وأربك حسابات الشركة المنتجة التي طلبت اختصار المقاطع إلى النصف فاضطر الموسيقار إلى الانسحاب.

وفي الأفلام السينمائية التي تتمتع بقدر أوسع من الحرية قد لا يكون تلحين قطعة فنية مستقلة لكل مشهد، بمستوى متميز وجذاب ومبهر، ذا جدوى بالنسبة إلى شبكات التذاكر الذي يوضع في حساب أي منتج.

ويرجع ذلك في تصور بعض نقاد الموسيقى إلى أن الثقافة السائدة في المجتمعات العربية بخصوص الموسيقى التصويرية تختلف كثيرا عن تلك السائدة في هوليوود والسينما العالمية.

وينصب الاهتمام الأكبر لدى الجمهور في الكثير من الدول العربية على جمل موسيقى يعينها ترتبط لدى المشاهد بحدث ما، مثلما هو الحال في مشهد خطاب الرئيس المصري الراحل أنور السادات في الكنيست في فيلم «أيام السادات» للموسيقى ياسر عبدالرحمن. لكن لا يتجاوب الجمهور

شهد حجم الاهتمام العالمي بالموسيقى التصويرية خلال السنوات الأخيرة تطورا مذهلا جعلها محل دراسة وتحليل متواصلين من المهتمين بالإنتاج الدرامي والسينمائي في البلدان الغربية. لكن الأمر مختلف في الوطن العربي حيث ما زالت النظرة العامة للموسيقى التصويرية لدى العاملين في القطاع مقتصرة على كونها مجردة للعمل، ليس أكثر.

هذه الموسيقى كعمل مهمته التجميل فقط

وبدا ذلك واضحا في أعمال دراما رمضان الماضي في مصر، حيث بدت الشركات الكبيرة المنتجة غير مرحبة بالاستعانة بكبار الموسيقيين الذين يربحون لأنهم في نظرهم «مرهقون زمنيا وماليا»، يستغرقون وقتا أطول في العمل، وقد يتدخلون في بعض المشاهد إخراجا فيقتروحون حذف مشهد طويل أو الاستعاضة بالموسيقى عن عبارات خوف أو قلق داخل السيناريو.

وكان الحل الأسهل والأيسر أن يتم تكليف موسيقيين تجاريين بإعداد عشر أو خمس عشرة مقطوعة، تتنوع بين الخوف وبين مشاعر الشفقة والحب والغضب والغضب الأشد، وغيرها من المشاعر الشائعة، وتوزعها على مشاهد الحلقات بعد إتمام التصوير تماما.

وقال أحد النقاد الفنيين لـ «العرب» إن شركة فنية كبرى في مصر استعانت قبل بضعة أعوام بموسيقار شهير له تاريخ معروف لتقديم موسيقى فريدة، تعدد إلى الأذهان موسيقى عمار الشريعي في مسلسل «رافت الهجان» أو ياسر عبدالرحمن في مسلسل «المال والبون»، ففاجأهم بإعداد سبعين مقطوعة مستقلة ومتنوعة.

وأضاف الناقد (رفض ذكر اسمه) أن المؤلف الموسيقى أخبرهم بأن العالم المتطور يعمل بذلك الأسلوب، كما اقترح حذف بعض المشاهد أو مقاطع منها، ما أثار غضب مخرج العمل الذي لم يكن على مستوى مهني رفيع، وأربك حسابات الشركة المنتجة التي طلبت اختصار المقاطع إلى النصف فاضطر الموسيقار إلى الانسحاب.

وفي الأفلام السينمائية التي تتمتع بقدر أوسع من الحرية قد لا يكون تلحين قطعة فنية مستقلة لكل مشهد، بمستوى متميز وجذاب ومبهر، ذا جدوى بالنسبة إلى شبكات التذاكر الذي يوضع في حساب أي منتج.

ويرجع ذلك في تصور بعض نقاد الموسيقى إلى أن الثقافة السائدة في المجتمعات العربية بخصوص الموسيقى التصويرية تختلف كثيرا عن تلك السائدة في هوليوود والسينما العالمية.

وينصب الاهتمام الأكبر لدى الجمهور في الكثير من الدول العربية على جمل موسيقى يعينها ترتبط لدى المشاهد بحدث ما، مثلما هو الحال في مشهد خطاب الرئيس المصري الراحل أنور السادات في الكنيست في فيلم «أيام السادات» للموسيقى ياسر عبدالرحمن. لكن لا يتجاوب الجمهور

مصطفى عبيد
كاتب مصري

القاهرة - لم يكن فوز الفنان الأميركي متعدد المواهب جيمي فوكس بجائزة الأوسكار هذا العام عن موسيقاه في فيلم الرسوم المتحركة «سول» إلا تأكيداً على قوة التأثير الذي تحدثه الموسيقى التصويرية في الجمهور، إذ ظلت الحان البيانو المتناغمة وديقات الطبل المنتظمة التي تضمنتها موسيقى الفيلم محل إشادة من قبل جمهور واسع منذ قيام «بيزنس لاند» بطرح الفيلم في أكتوبر الماضي.

ومع أن فوكس بدا مبهرا في لعب دور البطولة الصوتية في الفيلم أمام تينا فيا، وروعة الحكبة في العمل والإعداد الجيد له والأداء المتميز لكافة المشاركين فيه، جاء فوز الموسيقى التصويرية للفيلم بالجائزة متسقا مع العذوبة والسحر الكامن في مقاطعها المختلفة، كأنها تحكي مقردة قصصا ومغامرات موازية.

**النظرة العامة للموسيقى
التصويرية عند المنتجين
العرب لم تتجاوز فكرة
حصرها في خانة الثانويات
المجملّة للعمل**

وإذا كان المعتاد في ما مضى من أعمال تقليدية تأليف الموسيقى التصويرية للأفلام والمسلسلات بعد الانتهاء التام من تصوير مشاهد العمل الفني، فإن تعاطف دورها مؤخرا جعل الكثير من منتجي الأفلام يلجأون إلى تأليف الموسيقى التصويرية قبيل تصوير المشاهد اعتمادا على نص السيناريو، مع توسيع دور المؤلف الموسيقى لتصل سلطته إلى اقتراح حذف بعض المشاهد أو العبارات الحوارية التي يمكن للموسيقى أن تحوّل دورها.

فجوة بين ثقافتين

وعلى الرغم من نجاح الكثير من الأعمال الفنية العربية في نيل إعجاب وتقدير الجمهور بإدائها أبطالها المتميز ومحاوراتهم المؤثرة وحكايات القصص، وربما بحسن الإخراج والتوظيف الجيد لمواهب الممثلين، إلا أن النظرة العامة للموسيقى التصويرية في هذه الأعمال ما زالت قاصرة، لا تتجاوز التعامل مع